الزوج والزوجـــــة

وواجبات كل منهما

بقلم الأستاذ مصطفى جاد أبو العلا

تكلمنا فى العدد الماضى عما يجب عمله لاعداد الفتاة للزواج ، وأردفنا ذلك بالكلام على المهر والجهاز ، ونتكلم الآن عما يجب على كل من الزوجين نحو الاخر :

إذا ما تم إعداد الفتاة إعداداً صحيحا وحصلنا على تلك التى قبضت باليمين على العفاف وبالشمال على الاستقامة والشهامة ، تلك الفتاة التى تجملت بأبهى زينة ، وتحلت بأجمل الحلى ، وهما العفة والآداب ، فعلى الزوج ألا ينصرف عنها ويتلهى بما يحيط به من ملاذ وشهوات ، فيقضى لياليه الطويلة خارج بيته ، ويعود إليه فلا يبصر امرأته إلا وهى نائمة ، وإذا ما التقى بها فى ساعة من النهار اكفهر وجهاً وعبس وتولى ، وإذا كلمها كان كالمتكلف ينتزع الألفاظ من حلقه يود أن لم يكن يراها ، يبصر أمامه مخلوقة تهش إليه وتبش وتتقرب منه فيبتعد عنها وينفر منها ، ويظن أنها خادم جاء بها لترأس خدمه وحشمه . تلك حال الكثيرات من الزوجات لا يجلب إليهن ما هن فيه من نعيم سروراً قلبياً ، ويتساءل الناس عن سبب حزنهن فما يصلون إلى حقيقة ، إنما يلحقونهن بالبطرات بالنعمة ، المنكرات فضل أزواجهن الجاحدات ، ولكنهم وايم الحق مخطئون .

إن النساء لا تنعم بالا ولا تطمئن خاطراً حتى يكون نصيبهن من أزواجهن نصيباً عادلا ، وإن الكلمة الحلوة تخرج من فم الزوج فيتردد صداها فى أذن الزوجة فتصل إلى الوتر الحساس من قلبها لتنعش فيه أملا كاد أن يموت ؛ إنما المرأة تحتاج إلى ما ينعش حبها ويتعهده بالحياة والبقاء ، وما تبلغ المرأة ذلك حتى يكون لها من زوجها قلب حنون شفيق ، ولسان معسول ، وضمير نقى ، فهى زوجه وهو زوجها ، وإنها لتسعد حياة فى ظل هذا الحب والاخلاص حين تلتقى بزوجها فرحاً مسروراً يبتسم لها « ابتسامة الزوج » فتقابلها « بابتسامة الزوجة » .

وما أتعس المرأة التى تستيقظ من غفلة الشبيبة ، فتجد نفسها فى منزل رجل يغرها بأمواله وعطاياه ، ويسربلها بالتكريم ، ولكنه لا يقدر أن يشعل قلبها بشعلة الحب المقدس ، وإنها لتتنازل عن كل ما يحيط بها من الخدم والحشم والملذات فى سبيل البشر والايناس المنبعث

من خلال قلب زوجها على صفحة وجهها ، وتراها فتبصر روحاً تنال من عينيها وفرحاً تكاد تطير به .

فجدير بالرجل أن يتقي الله في تلك الخلوقة التي قدر القضاء لها أن تكون له زوجة ، لا ليهينها ويحتقرها ، بل ليعزها ويحترمها ، فهو سياجها وسندها ، فيجب أن يعمل لتوفير سعادتها ، وينظر إليها بالعين التي ينظر بها إلى أحب الناس إليه ، وأعزهم عليه ، وأن يتجنب ما يوقع النفرة بينهما ، وينصحها إن خالفت إرادته . ويؤاخذها على فعلها بالملاطفة واللين : لا بالخشونة والشدة والتشهير ، يأخذها بالمعروف ، لا بالجبروت ، ويشفق عليها ، ولا يميل إلى غيرها أبداً ، ولا يضن عليها بالمال لاصلاح حالهما ، ولا يقصر يده عما تطلب منه ملتزماً الحد الوسط : فلا إسراف ولا تقتير ، لا يستبد بها ، بل يكون باشاً في كمال ، مسروراً في وقار ، وإن غضب ففي هدوء واعتدال ، يكون لها أباً عطوفاً وأخاً كريماً ، فانه بذلك يصير عضواً نافعاً في الهيئة الاجتماعية ، يعتبرها شريكته في الحياة حتى تشعر بسرور لم تكن تشعر به من قبل في بيت والديها فتضحي نفسها في سبيل راحته وخدمته وسعادته .

واجبات الزوجة لزوجها :

ويجب عليها حينئذ أن تخلص لزوجها ، إن غبت ففي قضاء لوازمه . وإن خلت بالملابس فلكي تلفت إليها نظره ، تسره بابتساماتها الطاهرة وتسعى جهدها في مواساته وتفريج كربه كلما نزل به حادث ، ويكون ديدنها اليقظة المصحوبة بالعمل والاشراف على دقائق الأمور بتبصر وإهمال ، فلا تدع العمل للخادمين ، فانهم ليسوا من المخلصين مهما عظم تودد هؤلاء لهم بالاخلاص في العمل ، ولا تكل أمراً للخادمات وهن في عملهن المتكاسلات ، تتفقدهن إلى العمل فان فقدتها يوماً ما فقدن وراءها النشاط .

يجب أن تكون راغبة في أن يرفرف الهناء والسرور بجناحيه فوق بيت زوجها فتكون عاملة على النظام والنظافة والاقتصاد :

قد يقول قائل : إن الشئون المنزلية هي من واجبات الخدم ، ولذلك فان ربة البيت يكفي أن تطلب الشيء فيحضر لها كما تريد .

إن مثل هذا القول يستند إلى ما هو أوهى من خيط العنكبوت ، لأن المركب الذي يجهل ربانه دقائق حركاته وتسييره يغرق ولو كان غاصاً بالبحارة والنوتيين ، كما أن القائد الذي ليس له خبرة كافية يدير بها جنده يخسر المعركة ، ولو كانت جنوده تفوق جند العدو أضعافاً مضاعفة ، وكذلك المنزل فان كانت ربته غير ملمة بكل شيء فيه يتهدم وتتداعى أركانه ويسقط سقوطاً مروعاً مرهباً .

وقد جاء في الأمثال « المرأة الحكيمة تبني بيتها والسفيهة تهدمه بيدها » يريد بالحكيمة تلك المرأة التي تعرف كيف تدير سكان منزلها وكيف تقوم بواجباتها العائلية نحو زوجها وبنيها

فتسعدهم وتسعد هى أيضا معهم ، فالاعتناء بإدارة المنزل له أهميته .

« المنزل » هو ذاك الكن المقدس الذى ترفرف على جوانبه ملائكة الهناءة والسرور ،هو الجنة الأرضية التى لا تسمع فيها إلا رنات مسرور ، وابتسامات حبور ،ولغات ملائكة، المنزل هو مقصد الزوجين ،ومأوى البنين والبنات ، المنزل مهبط الحب بكل أنواعه : الحب الأبوى ، الحب البنوى، الحب الزوجى ،حب الأقربين ، حب مساعدة الضعفاء، حب مواساة المساكين؛ المنزل هو مدرسة الطفل الأولى ، مدرسة الأخلاق الكريمة ؛ هو المدرسة التى تقوم الزوجة فيها بدور الأستاذ الأول ، المنزل هو المكان الذى يهرع إليه الطفل إن كان خائفا مذعوراً ، والزوج إن كان جبانا كئيبا ، حيث يجد كلاهما الملاك الذى يسرى عن نفسه ؛ المنزل مهبط أيام الصبا الجميلة ، أيام السعادة المتتابعة ، أيام الأمانى والأحلام، أيام الاسترسال فى المسرات ، أيام النزاع الطفيف الذى لا يلبث أن يزول .

يجب أن تخلص لزوجها الحب وتحترمه ، مقدرة له ، راغبة فى شخصه ، همها معه أن تعيش له ليعيش لها ، ثم لا يتخلل حبها وإخلاصها رهبة تنفرع عن سوء الظن ، فما تلتقى السعادة بسوء الظن والريبة فى العشرة ، وما يلتقى الحب بالحب الزوجى على بساط الغيرة .

وما أتعس الرجل الذى يحب فتاة من بين الفتيات ويتخذها رفيقة لحياته ويهرق على قدميها عرق جبينه ، ودم قلبه ، ويضع بين كفيها ثمار أتعابه ، وغلة اجتهاده ، ثم يفتجعه فجأة فيجد قلبها ـ الذى حاول ابتياعه بمجاهدة الأيام وسهر الليالى ـ قد أعطى مجانا لرجل آخر يتمتع بكنوزه ، ويسعد بسرائر محبته .

هذا أما واجبها نحو أولادها ـ الذين هم الغرض الأسمى من الزواج ـ فتربية جسمية وتربية نفسية يشترك معها فى الأخيرة الأب ؛ أما الأولى فرتعها الذى تنمو فيه وترتقى فى أحضانه ، وما قدر لغير الأم أن تقوم بهذه المهنة إلا إن كانت الأم ضعيفة البنية والتركيب .

يجب ألا تترك طفلها هدفا لسهام الأيام ، وعرضة لمخالب الدهر ، يجب أن تدر مصيره وتفكر فى عاقبة أمره ، فلا تتركه لأيدى مرضع مهما قويت بنيتها واعتدلت صحتها ، فيتطبع بطباعها ، ويتخلق بأخلاقها ، وفوق ذلك فانها ـ وإن سهرت عليه ـ مأجورة ، ومرضعة بثمن فلا تقوم مقام أمه ،ولا تلقنه دروس الحنان البنوى ،وبذا تفقد عاطفة الحب لأمه ، حيث ألف صدر الأجنبية فيشب مضطرب الاحساس ، فلا يدرى : أهذه أمه ـ وقد تناول ثديها ،ورضع لبانها ـ أم تلك التى حملته تسعة أشهر وقاست آلام الحمل والوضع ؟ ولكنى أعذره فى ذلك فقد جفته أمه فجفاها ، وأطعمته ظئر فمال إليها .

يجب ألا تلق به بين يدى الخادم فتقدمه فريسة لها بيدها تنشب مخالبها فى مداركه ، وتدس دسائسها فى معتقداته لأن الخادم لم تتطوع لخدمته حباً فيه ، ولا شغفاً باصلاحه ، بل رغبة فى كثير من المال تتقاضاه ، وقلما تستطيع أن تدرك معنى التربية ، أو تذوق طعم

الاداب ، فتسترضيه إذا غضب ولو لغير الحق ، وتنهره إذا شاءت ولو بغير سبب ، ولاتدرى معنى الذوق، ولا وضع الشيء فى محله،ولا الحنو الصحيح،ولا الشفقة الخالصة، إنما هذه الشفقة وهذا الحنو منهما دراهم معدودة تتقاضاها فى كل شهر،والطفل عندهما حنو وإشفاق بقدر هذه الدراهم ، فاذا ما حرمت منها شهراً أو بعض شهر ذهب الحنو والاشفاق ، إنما الطفل ينقصه حب الأم وشفقتها وحنوها ، وحب الأب وشفقته وحنوه لكى يعيش ويبقى ، فاذا ما فقدهما عاش نكد العيش منقبض الصدر ، فلا يسعد إلا بحبهما وإخلاصهما ، وقيامهما بما فرض عليهما من الواجبات، فليفكر كل منهما فى ذلك .

ولتفكر الأم فى أن تحنو عليه وتشفق به ، فلا يشغلها عنه شاغل ، بل ليكن قبلتها التى تحج إليها وتعنى بها ، وأنشودتها التى تتغنى بها ، فتكون بذلك قد أدت ما يجب عليها نحو العالم بعملها ، بجدها واجتهادها فى إنبات ذريتها نباتاً صالحاً حسناً يجيد العمل النافع ، ويكون سببا لرقيه وإعلاء شأنه ، وتلك روحها التى تنبعث فى خلال جوف طفلها فتصل إلى روحه فتعمل وتعلو ، وهذا فى مقدورها ، فلا تجعله عرضة للأمراض فتتهاون فى أمره معتمدة فى علاجه على الخرافات العامة ، والوصفات الأهلية ، منتظرة فائدة هذه أو نتيجة تلك ، فليس من أسباب التوكل على الله استعمال شيء فى غير محله لا سيما وقد منحنا الله سبحانه وتعالى نعمة العلم.

يجب ألا تتركه هدفا لسهام الاهمال فتجعله يلعب فى الأزقة والشوارع فيختلط بالسفلة والرعاع ، يتخلق بأخلاقهم ويتطبع بطباعهم ، وتنتقل عدواهم إليه فضلا عن تعرضه لحرارة الشمس وقذارة الغبار .

يجب أن تكون مثالا حسنا له يقتدى بها فى كل حركة وسكون،فانه كآلة التصوير الشمسية تنطبع فى مخيلته كل المرئيات ، وترتسم فى ذاكرته كل الحركات .

فلا تعتاد الكسل أمامه بترك عملها ، ولا تتلفظ أمامه بالبذاءة وخش القول ؛ ولا الغطرسة فتتعالى على أقرانها وتجافى زميلاتها ، ولا الكذب فتستعمل الأيمان فى غير الحق؛ ولا الشدة فتستضعف الصغير ، ولا الذل فتخشى الجبار الكبير ، ولا الاغتيال فتغتصب شيئا بغير حق ، ولا الدناءة فتمتد عيناها إلى ما يتمتع به غيرها ، ولا السفالة فتسعى إلى غير مباح حتى تخرج عن دائرة الشرف والمبدأ .

ولهذه المناسبة أقول :إن كثيراً من الجاهلات يظنن أن الشرف والمبدأ هما فى عدم استسلام المرأة للفحشاء فقط ، لأنهن لا يعلمن ما هو الشرف بمجمل معناه وفروعه .

«الشرف» هو اختيار الحسن واتباع المشكور ، الشرف هو معرفة الواجبات والقيام بها نحو الأفراد ، نحو العائلة ، نحو المجتمع ، ونحو كل ما يحيط بالشريف ؛ الشرف هو الشعور ، هو الاحساس ، هو الوجدان ، هو الضمير ،هو اللطف، هو التضحية، هو الاخلاص،هو الأمانة، هو الصدق ، هو الطاعة لمن تجب له الطاعة ؛ هو مشاركة المتألم فى آلامه ، ومواساة الحزين

فى أحزانه : هذا هو الشرف ، وكم من فتاة عفيفة تراها بعد زفافها تتكبر على زوجها وعند كل صائحة تلبط الأرض برجليها قائلة لزوجها : يكفى أنى شريفة ، يجب أن تقدسنى لأنى شريفة !! وكم من عفيفات يقلن للرجل ، كان يجب أن يكون لك امرأة كفلانة تعرف كيف تحصل على ما تريد عند ما لا ترى من زوجها اهتماما بما تطلبه إليه ! .

فليعلمن هؤلاء الجاهلات أن بين المومسات من لم يزلن شريفات فى المبادىء صادقات وفيات حتى أن بينهن من لا تجد من تضاهيها مبدأ ووفاء بين السيدات الشريفات المصونات(١).

يجب على الزوجة أن تعود الطفل الفضيلة فتعترف بالحق وترضخ له ، والتأنى فتتدبر فى الأمر قبل الرأى فيه ، والصبر فتتحمل المصيبة بالسكون ، والشجاعة الأدبية فتعلن ما تخفى ، وعزة النفس فلا تتحمل الضيم ، والسكينة فتبتعد عن الاشرار ، يجب عليها مراقبته مراقبة محسوسة له حتى لا يتفرغ إلى مداراتها ، ويتفرد برسم خطط التمويه عليها ، فاذا رأت منه اعوجاجا فلومته بالحسنى ، وسلكت الطرق القويمة فى إصلاحه ، ولا تغفل عنه حتى يرضيها بما تقر به عينها ، وتبتعد بتدبر استطاعتها عن الشدة التى لا تستخدمها إلا إذا أعيتها الحيل ، ومن أحسن طرق المراقبة الخبرية : البحث عن أقرانه باتخابهم ممن حسنت أخلاقهم وابتعدت عن الرذائل صفاتهم .

واجبات الزوجين :

ولا ننس أن الزوج ملقى على عاتقه شطر تلك المسئولية نحو الطفل ، فيجب أن يتعاون مع زوجته بالسهر الدائم على راحة أولادهما حتى يصلوا إلى سن الرجولة ، فاذا ما وضع الزوجان نصب أعينهما رقيهما ورقى أولادهما فانهما لا يسأمان المعاشرة ، ولا يزداد رباطهما على مدى الأيام إلا توثقا ، فهما يعملان وجدان لزيادة تفسيهما وأولادهما صحة وذكاء ومالا وتربية ، ففى الشعور بأن هذه الأشياء تزداد يشعر القلب بالسعادة « التى هى نور ينبع من الحس لتشعر السرور ، التى هى جوهر يسهل الحصول عليه ، ويصعب الاحتفاظ به ، التى هى طير ينشأ فى وكن الطبيعة مفتون بالحرية ، فلا يلبث كثيراً فى عشه ، التى هى منبع فياض يهبه الله للانسان ، التى هى زهر لطيف سريع الذبول ، التى هى حكم العقل على الهوى ، التى هى ظل الوجدان الأبدى » .

وليست السعادة فى شىء يقتنى أو شخص يمتلك بالزواج ، بل هى جهد متواصل للرقى والتطور حتى نكون فى كهولتنا خيراً مما كنا فى شبابنا ، ويكون أولادنا خيراً منا ، فنشعر بأننا حلقة فى سلسلة التطور الشريفة ، وأننا عشنا غير راكدين كماء البركة الآسن ، بل كنا حركة دائمة كالرقى المطرد .

مصطفى جاد أبو العلا
دبلوم دار العلوم

(١) أسرف الكاتب فى هذه العبارة وله رأيه ، نقتصره على علاته عملا بحرية الرأى .